

الباب السادس :

تلوث الغذاء

"فقد لجأ المزارعون إلى استخدام المخصبات والأسمدة الكيميائية في تسميد الأرض الزراعية بهدف الحصول على محاصيل أكثر وأفضل. فالمخصبات والأسمدة تضيف إلى التربة عناصر مهمة وضرورية لنمو النبات. وبالتالي، فهي تزيد من إنتاجية المحصول الذي يمكن أن يزرع في مساحة من الأرض. وعلى الرغم من الفوائد الجمة لتلك المخصبات والأسمدة الكيميائية، إلا أنه اتضح حديثاً الأضرار الجسيمة التي تلحقها بالتربة، وبالتالي بالمحاصيل المزروعة بها. إضافة إلى أن وجود بعض العناصر عند تناوله بنسب معينة يؤدي الإنسان ويضر أجهزة جسمه المختلفة عند تناوله لتلك النباتات. فقد ثبت احتواء تلك النبات على نسب عالية من عناصر: الرصاص والزرنيخ واحتوائها على بعض الشقوق الضارة، مثل: النيتريات. كما أن استخدام كميات كبيرة من تلك المخصبات ربما يقلل من قدرة البكتيريا على تحليل النفايات وإنتاج المغذيات طبيعياً".

المؤلف

أهمية الغذاء:

الغذاء ضروري جدًا لاستقامة حياة الإنسان على الأرض، فهو مصدر الطاقة اللازمة ليقوم الإنسان بجميع أنشطته المختلفة، ويؤدي دوره في إعمار الأرض.

ولكي يستطيع الإنسان ممارسة أعماله اليومية، لابد أن يحصل على قدر من الطعام بكميات تفي باحتياجاته من الطاقة الحرارية والعناصر الغذائية الأساسية. وتعد كمية الطاقة الحرارية اليومية الضرورية للفرد أساسًا لتقدير احتياجاته الغذائية. وبتنوع مصادر حصوله عليها، يحصل الجسم على كل ما يلزمه من النيتروجين والأملاح المعدنية والفيتامينات بأنواعها. فيقول المولى عز وجل: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا وَعِنَبًا وَقَضْبًا وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا وَحَدَائِقَ غُلْبًا وَفَاكِهَةً وَأَبًّا مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾⁽¹⁾.

وتتولد الطاقة الحرارية اللازمة لأنشطة الإنسان المختلفة من التكسير الكيميائي لجزيئات الأغذية الدهنية والكربوهيدراتية والبروتينية بأنواعها.

فالكربون والهيدروجين والأكسجين يولدون الطاقة اللازمة لاحتياجات الفرد، فإذا ما يتولد منهم عن هذه الاحتياجات، يحولها الجسم إلى دهون تخزن في أجزاء مختلفة منه، لاستعمالها عند الحاجة في توليد ما يحتاج إليه من الطاقة. كذلك يخزن الجسم بعض أنواع الفيتامينات والأملاح بنسب قليلة.

أما عنصر النيتروجين الموجود في المواد البروتينية⁽²⁾، فإن الجسم يمتص منه احتياجاته اليومية لتكوين الخلايا الجديدة اللازمة لمرحلة النمو أو لتعويض التالف منها، ويطرده الزائد من هذا العنصر مع البول يوميًا.

وهذا يفسر ويؤكد ضرورة اعتبار أن مصادر المواد البروتينية هي المحور الرئيسي عند اختيار وتكوين الوجبات اليومية، بحيث تضمن حصول الفرد على احتياجاته منها يوميًا.

(1) سورة عبس: الآيات 24-32.

(2) عنصر النيتروجين هو العنصر الأساسي في تكوين أي نوع من الخلايا.

وقد أحل الله سبحانه وتعالى طيبات الطعام، فيقول سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرُمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (1).

وقوله تعالى: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ (2).

والغذاء الصحي المتوازن يظهر أثره على الإنسان في صورة وجه مشرق متدفق بالحوية والدموية، وبدن سليم معاف يقاوم أية وعكة يتعرض لها، وذهن صاف متجدد الفكر حاضر البديهة، وإن اختلفت درجات هذه الصفات وتفاوتت من إنسان لآخر.

سلوكيات .. تلوث الغذاء:

لقد كان للتقدم العلمي والتقني الذي واكب النصف من القرن العشرين الميلادي أكبر الأثر في ظهور العديد من الصناعات الجديدة.

ومن أهم تلك الصناعات: صناعة الأغذية. وفي الحقيقة، فإنه من خلال المراحل المختلفة التي تمر بها عملية صناعية الغذاء وحفظه، قد تتسرب بعض المواد الكيميائية (الضارة) إلى الأغذية بطريقة غير مباشرة خلال عمليات التجهيز والإنتاج والتعبئة. كما أنه قد تضاف مواد كيميائية معينة إلى الأغذية - بطريقة متعمدة - بهدف حفظها من التلف، أو إكسابها لوناً جذاباً أو طعمًا مستساغاً أو نكهة مميزة.

ونظرًا لتغير أنماط حياة الناس في هذه الأيام - بسبب خروج المرأة للعمل وبعدها عن البيت لفترات قد تطول حسب ظروف وطبيعة عملها، وبسبب إيقاع الحياة السريع - أقبل الناس على تناول الأطعمة المجهزة والأغذية المحفوظة، وذلك على حساب تناولهم للأطعمة الطازجة.

ومن الأمور الغريبة والعجيبة واللافتة للانتباه، أنه في بلادنا، وفي معظم البلدان النامية، نجد أنماطاً وسلوكيات نعجب لها، ولا نعيدها اهتماماً. ولذلك، نعدّ نحن -

(1) سورة المائدة: الآية 87.

(2) سورة البقرة: الآية 60.

بسلوكنا السلبي نحوها - شركاء فيها، بل نصل إلى نفس درجة فاعليها، فهي سلوكيات وممارسات يفعلها بعض البشر - يومياً - فتصيب غذاؤنا بالتلوث والفساد، ويصبح الغذاء الذي نتناوله ليقوى أجسامنا ويقينا من شر الأمراض .. يصبح هو نفسه أحد مصادر إصابتنا بالأمراض الخطيرة.

ومن أمثلة تلك السلوكيات والممارسات التي تؤدي إلى تلوث الغذاء:

- 1- السلوكيات والممارسات التي تمارس أثناء عملية ذبح الحيوانات أو أثناء نقلها أو أثناء البيع.
- 2- السلوكيات والممارسات التي تمارس أثناء صناعة (عجن وخبز) الخبز أو أثناء بيعه (عمليات عرضه للبيع).
- 3- إضافة الكيماويات والمواد الحافظة للأغذية المصنعة.
- 4- السلوكيات والممارسات التي تتم في مشروعات تسمين الماشية وتربية الدواجن (نوعية العليقة التي تقدم كغذاء - الحقن بالمضادات الحيوية).
- 5- السلوكيات والممارسات الخاطئة في إعداد وتجهيز عديد من الأغذية والمشروبات التي يقدمها الباعة الجائلين، وعدم وجود رقابة صحية صارمة على الفئة من البائعين.
- 6- السلوكيات والممارسات الخاطئة، من بعض الباعة الذين يلجأون إلى تعبئة المواد الغذائية في أكياس من النايلون أو الشنط البلاستيك من تلك الأنواع الرديئة السيئة.
- 7- السلوكيات والممارسات الخاطئة، والتي تتم بواسطة بعض التجار والعاملين في محلات تقديم الوجبات الغذائية، ومنها استخدام زيوت للقلي غير صحية وغير صالحة للاستخدام الآدمي.
- 8- السلوكيات والممارسات الخاطئة، والتي تقع من بعض التجار باستخدام وبيع أنواع من ملح الطعام الملوث وغير صالح للاستخدام الآدمي.

تعريف تلوث الغذاء:

يعرّف تلوث الغذاء، بأنه: "فساد الأغذية وتلفها بسبب احتوائها على جراثيم أو فيروسات أو مواد كيميائية أو مشعة، أو تعرضها لإحدى هذه المواد، بما يؤدي إلى الإضرار بمن يتناول هذه الأغذية".

الملوثات .. تتغلغل في أنسجة النباتات:

كما نعلم جميعًا، تعتبر النباتات هي الغذاء الطبيعي للإنسان، وهي المادة الخام للعديد من الصناعات الغذائية الأخرى: فما بالك - عزيزي القارئ - إذا كان التلوث قد أصاب النباتات وتغلغل في أنسجتها بحيث أصبح من الصعب معالجة آثاره أو التخلص منه.

فقد لجأ المزارعون إلى استخدام المخصبات والأسمدة الكيميائية في تسميد الأرض الزراعية بهدف الحصول على محاصيل أكثر وأفضل. فالمخصبات والأسمدة تضيف إلى التربة عناصر مهمة وضرورية لنمو النبات. وبالتالي، فهي تزيد من إنتاجية المحصول الذي يمكن أن يزرع في مساحة من الأرض. وعلى الرغم من الفوائد الجمة لتلك المخصبات والأسمدة الكيميائية، إلا أنه اتضح حديثًا الأضرار الجسيمة التي تلحقها بالتربة، وبالتالي بالمحاصيل المزروعة بها. إضافة إلى أن وجود بعض العناصر عند تناوله بنسب معينة يؤدي الإنسان ويضر أجهزة جسمه المختلفة عند تناوله لتلك النباتات. فقد ثبت احتواء تلك النبات على نسب عالية من عناصر: الرصاص والزرنيخ وحتوائها على بعض الشقوق الضارة، مثل: النيتريات. كما أن استخدام كميات كبيرة من تلك المخصبات ربما يقلل من قدرة البكتيريا على تحليل النفايات وإنتاج المغذيات طبيعيًا.

كذلك، لجأ المزارعون إلى استخدام المبيدات الحشرية للقضاء على الآفات والأعشاب والحشرات الضارة، مما يؤدي إلى إنتاج محاصيل وفيرة. ولكنها - أي المبيدات - سلاح ذو حدين، فهي قضت على الآفات والحشرات الضارة، وفي نفس الوقت قضت على الحشرات والديدان والبكتيريا والكائنات الأخرى المفيدة والتي

تعيش في التربة. فهي لا تميز بين ما هو ضار .. وما هو مفيد. وبذلك قضت على الجميع، مما أضر ضرراً شديداً بالتربة الزراعية.

وتؤثر مبيدات الآفات في التربة والمياه أكثر من تأثيرها على الدورات الطبيعية، ولا يصل الكثير من مواد المبيدات إلى الحشرات أو إلى الآفات الأخرى التي كان من المستهدف أن تقتلها. وبدلاً عن ذلك، فإن الجسيمات الدقيقة للمبيدات تنتقل خلال الهواء والماء لمسافات طويلة في بعض الأحيان. ويمتص الناس والحيوانات مبيدات الآفات في أجسامهم حينما يلامسونها مباشرة، وتجمع المواد في الأنسجة والأعضاء.

ويتناول الناس والحيوانات المبيدات بطريقة غير مباشرة حينما يأكلون النباتات الملوثة بأثار تلك المبيدات. وعلى سبيل المثال: يمكن لسمكة كبيرة أن تتناول كميات كبيرة من مبيدات الآفات عن طريق أكلها للأسماك الصغيرة التي تحتوي أجسامها على هذه المواد نتيجة أكلها نباتات أو ديدان ملوثة. وحينئذ، ربما يأكل الإنسان السمكة الكبيرة، وبالتالي تصل إلى جسمه أو جهازه المختلفة مواد مبيدات الآفات المركزة والمتراكمة داخل السمكة الكبيرة. وهكذا، يمكن أن تنتقل المواد الضارة والملوثة من خلال السلسلة الغذائية.

وقديماً⁽¹⁾، وقبل أن تسيطر الحضارة الحديثة والتكنولوجيا على الإنسان وحياته اليومية، كان الإنسان يأكل ويأكل، بل ويأكل جميع أنواع الأغذية بما فيها الدسمة والسكرية، فما تزيده إلا صحة ونشاط وحيوية.

أما اليوم، فعندما يأكل الإنسان أي غذاء، فما يزيده إلا أمراض وأمراض، مثل: أمراض السكر، وضغط الدم، والنقرس، والقلب، وغيرها من الأمراض التي أصبحت تسمى "أمراض العصر".

في تلك الآونة، كان يكفي أن يغسل الإنسان الفاكهة والخضراوات غسلاً جيداً، تصبح بعده صالحة لأن يتناولها ويأكلها، وهو متأكد من نظافتها وصلاحيتها.

(1) قديماً: المقصود بها هنا أوائل القرن العشرين الميلادي.

أما اليوم، فإن غسيلها - حتى ولو بمحلول البرمنجنات المطهر - فإنه لا يعني نظافتها وصلاحيتها. فقد ينجح هذا المحلول في جعلها نظيفة من الخارج، ولكنه لا ينجح في جعلها صالحة للأكل، وذلك لأن التلوث أصبح جزءاً من تركيبها وأنسجتها. لقد تغلغل التلوث إلى التركيب الداخلي للنباتات، وأصبحت الأنسجة الداخلية للنباتات ملوثة بالمبيدات والعناصر الثقيلة وغيرها من الملوثات التي تلوث التربة والمياه، وتأخذ طريقها إلى أنسجة النباتات وثمارها.

موقف القرآن الكريم .. من تلوث الغذاء:

القرآن الكريم من خلال آياته المباركة يحرص على صحة الإنسان وسلامته. ومن أجل ذلك، نجد أن الله سبحانه وتعالى يخبرنا على لسان رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم، بأنه أحلّ للناس الطيبات من المأكّل والمشرب، فيقول سبحانه وتعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ﴾ (1).

فالله سبحانه وتعالى أحل الطيبات من الرزق والزينة، فلا يجوز لأحد - مهما كان - أن يحرم ما أحل الله. فيقول سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ (2).

الطيبات .. التي ذكرها القرآن الكريم:

الطيبات التي أحلها الله - سبحانه وتعالى - لعباده، كثيرة ومتعددة، القرآن الكريم في آياته العظيمة، فمنها:

1- لحوم الأنعام:

قال تعالى: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ (3).

(1) سورة المائدة: الآية 4.

(2) سورة الأعراف: الآية 32.

(3) سورة النحل: الآية 5.

2- الأسماك وصيد البحر عامة:

قال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا ﴾⁽¹⁾.

3- اللبن:

قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ ﴾⁽²⁾.

4- الثمرات المختلفة:

قال تعالى: ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾⁽³⁾.

وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا وَعِنَبًا وَقَضْبًا وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا وَحَدَائِقَ غُلْبًا وَفَاكِهَةً وَأَبًّا مَتَاعًا لَكُمْ وَلَآلِئِمَّا كُمْ ﴾⁽⁴⁾.

5- شجرة الدهن:

قال تعالى: ﴿ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ وَصَبِغٍ لِللَّاكِلِينَ ﴾⁽⁵⁾.

والقران - بصفة عامة - يدعو إلى الأكل من رزق الله المنتشر في أرجاء المعمورة، فيقول سبحانه وتعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾⁽⁶⁾.

(1) سورة النحل: الآية 14.

(2) سورة النحل: الآية 66.

(3) سورة البقرة: الآية 22.

(4) سورة عبس: الآيات 26-32.

(5) سورة المؤمنون: الآية 20.

(6) سورة الملك: الآية 15.

الخبائث .. التي حرمها القرآن الكريم:

كما أن الإسلام أحل للإنسان الطيبات من المأكول والمشرب، فإنه قد حرم الخبائث وكل ما هو مضر بالإنسان وصحته. وقد نهبنا القرآن الكريم في عديد من آياته تلك المحرمات والخبائث التي يجب على الإنسان تجنبها وعدم تناولها.

والتحريم من الله - سبحانه وتعالى - أمر حتمي لا يجوز فيه النقاش أو المجادلة، وليس من الضروري في كل موقف أن يوضح سبب التحريم. فيجب على الإنسان الانصياع لأمر الله تعالى دون محاولة البحث في الأسباب.

وعلى الرغم من ذلك، فنجد أن العلم الحديث والدراسات الطبية الحديثة، أثبتت في مواضع عديدة علة التحريم والحكمة من تحريم تلك المحرمات، إن كان ليس من الضروري ذلك، بل ينبغي إطاعة الله في كل أوامره ونواهيه.

والخبائث والمحرمات التي حرم الله - سبحانه وتعالى - عديدة، منها:

(1) الميتة والدم ولحم الخنزير:

قال تعالى: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ (1).

وقوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ﴾ (2).

أسباب التحريم للدم:

ولقد أثبتت الأبحاث الطبية الحديثة خطورة تناول الميتة والدم، والتي يمكن ذكر بعضها فيما يلي:

- وجود بعض السموم والفضلات في الدم، مثل: اليوريا، وحمض البولييك، والسموم التي تنتقل من الأمعاء إلى الكبد.

(1) سورة الأنعام: الآية 145.

(2) سورة المائدة: الآية 3.

- إن تناول الدم عن طريق الفم يتسبب في امتصاص بعض مكوناته، مما يؤدي إلى استقلاب البروتينات وحدوث ارتفاع كبير في نسبة (البولة الدموية)، التي تؤدي إلى اعتلال الدماغ وحدوث الغيبوبة.
- الدم وسط صالح لنمو شتى الجراثيم التي قد تنتقل إليه من أدوات الذبح أو الأيدي أو الآنية التي يوضع فيها، أو عن طريق الهواء، أو بواسطة الذباب. ويزداد ضرر الدم إذا كان دمًا لحيوان مريض، وخاصة إذا كان مصابًا بمرض جرثومي.
- الدم لا يعدّ غذاءً بشريًا، فهو عسير الهضم، ولا تحتمله المعدة، وإذا تخرس يصبح أشدّ عسرة بسبب تكوين الليفين (الفبرين).
- قد يكون فيروس التهاب الكبد الوبائي موجودًا في الدم، وبذلك تنتقل الإصابة إلى الإنسان بهذا المرض عند تناول هذا الدم المصاب.

أسباب تحريم لحم الخنزير:

حرم الإسلام لحم الخنزير، ذلك الحيوان القذر الذي يتغذى على النجاسات والقاذورات والجيف.

فقد كشف العلم الحديث عددًا من الأمراض التي ينقلها الخنزير، مثل: الزحار (الدوستاريا) الزقي، وداء "ويل" اليرقاني النزفي، وحصبة الخنزير. ويتسبب لحم الخنزير في الإصابة بالدودة الوحيدة الشريطية، والدودة الشعرية الحلزونية.

أسباب تحريم الميتة:

والحكمة في تحريم لحم الميتة أن هذا اللحم يتعرض لتغيرات عديدة، فبعد ساعة من الموت يرُسب الدم دم الحيوان إلى الأجزاء المنخفضة من جسمه مشكلًا ما يسمى بـ "الزرقة الرمية". وبعد نحو ثلاث ساعات يحدث ما يسمى "التييس الرمي"؛ وهو عبارة عن تصلب عضلات الجسم وتوترها بسبب تكوين أحماض خاصة كحمض الفورميك وحمض اللبنيك وحمض الفوسفوريك. وبعد ذلك، تعود القلوية للعضلات

فيزول التيبس وتغزو الجراثيم الجثة، فتؤدي إلى تعفنها وانتفاخها. ويؤدي انحباس الدم إلى الإسراع في حدوث التعفن، كما يتسبب في زيادة معدل تكاثر الجراثيم.

الميتة: هي كل ما مات حتف أنفه، وغالبًا ما يكون الموت بسبب علة (مرض) مزمنة، أو طارئة أو بسبب أكل أو شرب شيء سام. ويدخل في حكم الميتة، أصناف أخرى حددتها الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾ (1).

وعلة تحريم هذه الأنواع من الميتة هي علة تحريم الميتة التي ذكرناها من قبل، وإذا عرفنا كل واحدة منها، اتضحت حقيقة ذلك:

- **المنخنقة:** هي التي تموت اختناقًا، بأن يلف عليها حبل أو ما شابهه.
 - **الموقوذة:** هي التي تضرب بعضًا أو حجر حتى تموت.
 - **التردية:** هي التي تموت عندما تتردى أو تسقط من مكان عالٍ، مثل: الجبل، أو مثل التي تسقط في بئر فتموت.
 - **النطيحة:** هي التي نطحتها بهيمة أخرى، فماتت بالنطح.
 - **ما أكل السبع:** هي التي أكل منها حيوان مفترس جزءًا فماتت.
 - **ما ذبح على النصب:** هي الذبيحة التي كان الجاهليون يذبحونها على الأحجار المنصوبة حول الكعبة. وعلة التحريم في هذا النوع من الذبائح دينية محضة، لحماية التوحيد وتطهير العقائد، ومحاربة الشرك والوثنية.
- ولذلك، حث الإسلام على تركية الحيوان عند ذبحه، لأن التركية الشرعية تؤمن استنزاف دم الحيوان على أحسن وجه، بقطع أوردة الرقبة وشرائينها الكبيرة.
- (2) **الخمر:**

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ

(1) سورة المائدة: الآية 3.

عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١﴾ .

علة تحريم الخمر:

وقد أثبتت الأبحاث العلمية أن للخمر تأثيرات ضارة على مراكز المخ الحيوية، وعلى الدورة الدموية، وعلى الجهاز التنفسي - كما أنها تؤدي إلى الإصابة بتليف الكبد، وحدوث مرض انفصام الشخصية (الشيذوفرنيا). كذلك، فإن الخمر تلعب برأس شارها، وتهيئ له أمورًا لا أساس لها، وقد تؤدي به إلى الجنون، كما أنها تجعله غير مدرك لأفعاله، مما يجعله عرضة لارتكاب جرائم أو أعمال مخلة.

الإسراف .. في الأكل:

وكما ذكرنا من قبل، فإن الإسراف يعدّ نمطًا من أنماط التلوث التي نهانا القرآن الكريم عنها. فالإسراف في الأكل والشرب حكمة تمامًا حكم تلوث الطعام والشراب، قال تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ (2).

فالإسراف في الأكل والشرب قد يؤدي إلى التخممة والسمنة وإلى الإصابة بالأمراض المختلفة، مثله تمامًا مثل التلوث.

السنة النبوية المطهرة .. وتلوّث الغذاء:

من المؤكد والثابت، أنه ما من شيء فيه فائدة أو خير للإنسان إلا وقد أمر به الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وما من شيء فيه ضرر أو شر للإنسان، إلا وقد نهى عنه، وفي ذلك يقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم: "لا ضرر ولا ضرار" (3).

ومن الأمور المتفق عليها اليوم أن الغذاء الملوّث يؤدي للإنسان، ويسبب له الضرر، ويصيبه بالمرض. ولذلك، فإن بيع الأغذية الملوّثة يعدّ من الأمور التي تلحق الضرر والأذى بالمسلمين، ولذلك يؤثم من يقول به أو يتسبب فيه.

(1) سورة المائدة: الآية 90.

(2) سورة الأعراف: الآية 31.

(3) رواه ابن ماجه.

فهذا القول البليغ: "لا ضرر ولا ضرار" قول عام يدخل تحته كل نوع من أنواع التلوث الذي يؤدي المسلم ويسبب له الأمراض. وهذا القول يوضح سماحة الإسلام وحرصه على الإنسان وصحته.

وهذا الحديث الشريف يدخل في إطار حرصه صلى الله عليه وسلم على حماية الإنسان من كل ما يضره، وهو يدخل في إطار النواهي، التي نهى عنها صلى الله عليه وسلم وهو أيضًا يدخل في مجال مكافحة الغش والتدليس الذي انتشر في هذه الآونة. ولم تقتصر أحاديثه الشريفة وأوامره ونواهي على مجال مكافحة الغش والتدليس، ولكنها شملت حث المسلم على اتخاذ كافة التدابير الكفيلة بوقاية طعامه وشرابه وحمايتها وحفظها من التلوث.

وفي هذا المعنى، يقول جابر بن عبد الله إنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « غطوا الإناء وأوكوا السقاء، فإن في السنة ليلة ينزل فيها وباء لا يمر بإناء ليس عليه غطاء، أو سقاء ليس عليه وكاء إلا نزل فيه من ذلك الوباء »⁽¹⁾.

فهذا الحديث الشريف، يحث الإنسان في أي مكان وزمان أن يأخذ حذره وحيطته، خاصة فيما يتعلق بأمر أكله وشربه، فيجب الاعتناء بهما، والعمل على حفظ وصيانة المأكول والمشرب، حفظًا وحماية لهما من التعرض للتلوث، وحماية للإنسان من الإصابة بالأمراض الخطيرة.

وذلك التوجيه النبوي الشريف، ويوضح إلى أي مدى حرص الإسلام على محاولة منع وقوع الأذى أو الضرر أو التلوث، وأن منعه قبل حدوثه أولى وأجدر من معالجته بعد حدوثه. فكما قال السابقون: "الوقاية خير من العلاج".

موقف الفقهاء .. من تلوث الغذاء:

أجمع الفقهاء وعلماء الدين على مر العصور على وجوب مكافحة الفساد، ومحاولة تجنب وقوعه، فإن ذلك خير من العلاج بعد الإصابة. وفي هذا المعنى تقول القاعدة

(1) رواه مسلم.

الفقهية: "درء المفسدة مقدم على جلب المصلحة".

بل وصل الأمر بالفقهاء إلى حد تحريم كل ما يصل بالإنسان ويقع به في الحرام. فإذا كان التلوث الغذائي يؤدي إلى تعريض النفس البشرية للموت والهلاك، فإن تلوث الغذاء في هذه الحالة يصبح أمراً محرماً. وهذا ما تجزم به القاعدة الفقهية التي تقول: "ما أدى إلى الحرام فهو حرام".

المحتسب .. ومكافحة تلوث الغذاء:

كانت من بين مهام المحتسب مراقبة الأسواق، والتأكد من سلامة الأغذية التي تباع فيها، والتأكد من سلامة طرق إعدادها، ونظافتها.

ويوضح لنا عبد الرحمن بن نصر الشيزري في كتابه: "نهاية الرتبة في طلب الحسبة"، كيف كانت عناية المحتسب بمراقبة صناعة الخبز، فيقول في كتابه: "يكتب المحتسب في دفتره أسماء الخبازين ومواضع حوانيتهم، فإن الحاجة تدعو إلى معرفتهم. وللمحتسب أن يأمرهم بنظافة أوعية الماء وتغطيتها، وغسيل المعاجن ونظافتها، وما يُعطى به الخبز، وما يحمل عليه. فلا يعجن بقدميه ولا بركبتيه ولا بمرفقيه لأن في ذلك مهانة للطعام، فربما قطر في العجن شيء من عرق إبطيه، ويديه، فلا يعجن إلا وعليه ملعبه - ثوب من غير كم - أو بشت مقطوع الأكمام، ويكون ملثماً أيضاً لأنه ربما عطس أو تكلم فقطر شيء من بصاقه أو مخاطه في العجن. ويشد على جبينه عصابة بيضاء لئلا يعرق فيقطر منه شيء في العجن. ويخلق شعر ذراعيه لئلا يسقط منه شيء في العجن، وإذا عجن في النهار، فليكن عنده شخص في يده مذبة يطرد عنه الذباب".

هكذا، كانت عناية المسلمين القدامى بنظافة الغذاء وحرصهم على سلامتهم، وسلامة من يتناولونه. فأين العالم الآن من تلك المبادئ السامية التي أرسنها شريعة الإسلام؟ وأين نحن أيضاً منها؟⁽¹⁾.

* * * *

(1) مهندس: محمد عبد القادر الفقي، البيئة، مكتبة ابن سينا، 1993م.